التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكّمة تعني بقضايا الأدب والنقد

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم والإنسانية والاجتماعية

جامعة باجي مختار/عنابة (الجزائر)

العدد الثالث

ديسمبر 2008

التواصل الأدبي

مجلة نصف سنوية محكّمة تعنى بقضايا الأدب والنقد

تصدر عن مخبر الأدب العام والمقارن

كلية الآداب والعلوم والإنسانية

جامعة باجي مختار/عنابة (الجزائر)

إدارة المجلة:

مدير المجلة: أ.د عبد المجيد حنون

رئيس التحرير: د.محمد بلواهم

أمانة التحرير:

-د/نظيرة الكتر

-أ.هجيرة لعور

العنوان: مخبر الأدب العام والمقارن، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة، ص ب 12.عنابة 23000/الجزائر

الهاتف والفاكس:49-51-84-(038)/ 25-75-84-(038)

البريد الإلكتروني : ettaoussouleladabi@yahoo.fr

الترقيم الدولي الموحّد للمجلات : ISSN 1112-7597

العدد الثالث ديسمبر 2008

أعضاء الهيئة العلمية:

رئيس التحرير :

د. محمد بلواهم

الأعضاء :

1- أ. صالح ولعة

2- د. إسماعيل ابن صفية

3- د.نسيمة عيلان

4- أ.عمار رجال

5- د.علي خفيف

6- د. نظيرة الكتر

7- أ. هجيرة لعور

أعضاء الهيئة الاستشارية:

1- أ.د مختار نويوات (جامعة عنابة)

2- أ. د عبد الحميد بورايو (جامعة الجزائر)

3- أ.د الطيب بودربالة (جامعة باتنة)

4- أ.د عبد الواحد شريفي (جامعة وهران)

5- أ. د عز الدين مخزومي(جامعة وهران)

6- أ.د حبيب منسي (جامعة سيدي بلعباس)

7- أ.د عيسى بريهمات (جامعة الأغواط)

8- أ. د أحمد منور (جامعة الجزائر)

شروط النشر في المجلة:

1-تنشر المجلة البحوث والدراسات العلمية التي تعنى بقضايا الأدب العام والمقارن والنقد والترجمة، وتتسم بالعمق والجدة والأصالة.

2-ترسل الدراسات في نسختين وقرص مرن، ويكون حجم المقال في حدود (20) صفحة مقاسها 16×24، مع كتابة الإحالات والمراجع مرقمة في آخر المقال.

3- تكتب المقالات بخط (Traditional Arabic) من عيار 16، وبرنامج (Microsoft Word) أو نظام (RTF).

4-ينبغي أن ترفق المقالات بملخص تحدد فيه الإشكالية وأهم العناصر والأهداف المتوخاة من الدراسة.

5-تخضع المقالات للتحكيم العلمي من الهيئة العلمية.

6-تقوم هيئة التحرير بإخطار أصحاب المقالات في حالة عدم النشر لسبب من الأسباب.

7-المقالات لا ترد إلى أصحابها نشرت أم لم تنشر.

8-المقالات المنشورة لا تعبر بالضرورة عن المجلة.

9-يتحصل أصحاب المقالات على نسخة من المجلة وخمس مستلات من المقال.

10-ترسل المواد إلى رئيس تحرير مجلة التواصل الأدبي، مخبر الأدب العام والمقارن

العنوان: كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة باجي مختار عنابة،
ص ب 12- عنابة 23000/ الجزائر.

الهاتف والفاكس: 49-51-84-(038)/ 25-75-84-(038)

البريد الإلكتروني: ettaoussouleladabi@yahoo.fr

الـفـهـرس

وليد بوعديلة

خطاب النقد العربي وأسئلة العلاقة مع آخر..... 07

عمار رجال

غوته والثقافة العربية..... 30

راضية بوبكري

نظرية الأفعال اللغوية وتحليل الخطاب..... 47

عائشة رماش

مكونات الصورة السردية وموضوعاتها في قصص الأطفال..... 66

ماجدة بن عميرة

مدام بوفاري "رواية القرن التاسع عشر"..... 80

زهرة خفيف

واقعية الرواية الجزائرية..... 92

عبد الرحيم مراشدة / عبد الباسط مراشدة

الأنثوي الذكوري في النص الروائي مكاتيب النارنج وذاكرة الجسد نموذجا..... 113

هجيرة لعور

الرواية والأسطورة – إبراهيم الكوني أمنوذجا–..... 153

سلوى النفزي

مريم أم المسيح: من النص الإنجيلي إلى النص القرآني..... 171

كمال عطاب

تداخل الخطابات في المقامات..... 196

موسى مريان

ابن رشيق القيرواني وشعره..... 213

سامية عليوي

أسطورة أريان..... 236

مريم أم المسيح :
من النص الإنجيلي إلى النص القرآني

سلوى النفزي

تونس

المقدمة :

يتنزل هذا المبحث في إطار القصص الديني الذي ورد في النصين الإنجيلي والقرآني، ومدار الاهتمام هو قصة مريم بنت عمران - أم المسيح يسوع ، فلا مراء أن هذه الشخصية تعد من أهم الشخصيات في التاريخ الديني . فلقد بلغت هذه المرأة منزلة لا نزاع حولها في الديانتين المسيحية والإسلام .

وبالإضافة إلى أن هذا المبحث يعتبر مجالا خصبا باعتباره يندرج ضمن الأديان المقارنة ، وهو مبحث لا يزال بكرا في الثقافة العربية الإسلامية ، فإنه يساهم في التفسير الموضوعي للنص الديني ، وسنعتمد في معالجتنا لهذا الموضوع مبدأ الموضوعية نائين عن المعارف المسبقة وسنلتزم بالمراحل التالية :

- النسب
- الميلاد والنشأة
- معجزة مريم
- النهاية

إن هذه المراحل لئن أحالت على السياق التاريخي ، فإنها لم تستند إلى التاريخ إلا في ذكر الأحداث الأساسية في حياة مريم - أم المسيح ، وسنحاول استنباط مظاهر الالتقاء والتنافر في كلا من النصين الإنجيلي والقرآني والوقوف على مدى خروج النص الديني عن النص التاريخي وتلبسه بالأسطورة أي التجليات العجائبية ومدى مساهمتها في نسج هذه القصة وحبكها ، وستكون عمدتنا في المبحث الأناجيل القانونية الأربعة : (متى ، مرقس ، لوقا ، يوحنا) والقرآن.

إن الدارس المتأمل في المدونة يلاحظ أنها تتفاوت من حيث الحديث عن نسب مريم – أم المسيح فـ "متى" و"مرقس" و"يوحنا"[1] .

قد أهملوا هذا الجانب و لم يتحدثوا عن مريم إلا بمناسبة الحديث عن ميلاد المسيح ، فلا نظفر بإشارة عن أواصر مريم إلا في الأصحاح الأول من إنجيل "لوقا" حيث يذكر أنها جاءت هي ويوسف من سبط يهوذا ونسل داوود[2].

ويذكر الإنجيلي "يوحنا"[3] أنه كانت لمريم أخت واحدة وهذه الأخت على الأرجح هي سالومي زوجة زبدي وأم يعقوب ويوحنا[4] .

ويشير إنجيل "لوقا" إلى أن مريم- أم المسيح كانت تتصل بصلة القرابة مع أليصابات أم يوحنا المعمدان وزوجة زكريا الكاهن[5] .

أما النص القرآني ، فإنه تعرض لنسب مريم ، فذكر اسم أبيها "عمران"[6] وأشار إلى أمها "امرأة عمران" دون تعين اسمها[7] ، وفي المقابل يتوسع النص التاريخي (الطبري) في ذكر نسب مريم- أم المسيح فيذكر أنها ابنة عمران بن ياشهم بن أمون بن منشيابن حزفيا بن أخريق بنيوشام بن عزريا بن أمصيا بن يأوش بن أحزيهم بن يارم بن يهشافاظ بن أسا بن أبيا بن رحبعم بن سليمان[8] .

كما يشير الطبري إلى أن عمران والد مريم وزكريا والد يحي كانا متزوجين بأختين واسم أم مريم حنة بنت فاقود واسم أم يحي الإشباع بنت فاقود . وحسب هذه الرواية ، فإن مريم ويحيى يوحنا المعمدان ابنا خالتين نتبين ذلك حسب الرسم التالي :

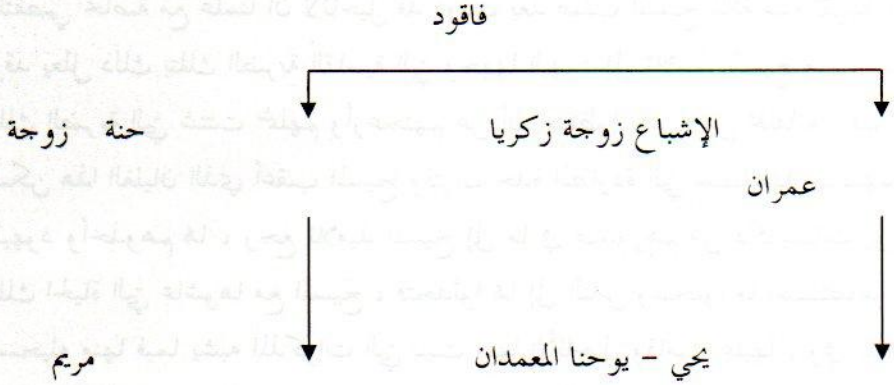

وتذهب روايات أخرى[9] إلى اعتبار الإشباع ومريم أختين فهما الاثنتان بنتا حنة وعمران ويصبح الرسم كالتالي :

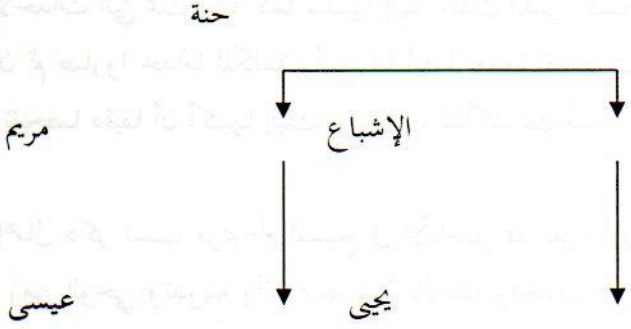

ويذكر الطبري أن مريم كانت مخطوبة ليوسف مؤكدا أنه ابن عمها يقول: "وكانت مسماة بيوسف بن يعقوب بن ماثان بن العازار بن اليود بن أحين بن صادوق بن عازور بن الياقيم ، بن أبيود بن زربابل بن شلتيل بن يوحنيا بن يوشيا بن أمون بن منشا بن حزقيا بن أحازين بن يوشام بن عموزيا بن يورام بن يهوشافاظ بن أسا بن أبيا بن رحبعم بن سليمان بن داود بن عم مريم"[10] .

نلاحظ أن ما ذكرته الأناجيل حول نسب مريم - أم المسيح يبقى مقتضبا وباهتا مقارنة بما أعلنه القرآن بانساء مريم لآل عمران ولآل إبراهيم[11] ، فلم يرد لهذا الأمر أي ذكر في الأناجيل المتوفرة بين الأيدي اليوم وهو بحد ذاته مدعاة

للتقصي خاصة مع علمنا أن لأناجيل قد دونت بعد صلب المسيح بمائة سنة تقريبا ، وقد يعلل ذلك بتلك الضربة القاسية التي وجهها اليهود إلى تلاميذ المسيح من بعده تلك الضربة التي شتتت شملهم وأزعجتهم عن أن يحتفظوا بشيء من مخلفاته ، فلما سكن هذا الغليان الذي أعقب المسيح وفترت حدة المطاردة التي سلطها عليهم اليهود وأخذوهم بها ، رجع تلاميذ المسيح إلى ما في صدورهم من ذكريات إلى تلك الحياة التي عاشوها مع المسيح ، فتحدثوا بها إلى الناس وسجلوا ما استطاعوا تسجيله منها فيما يشبه المذكرات التي بنيت منها الأناجيل وقامت عليها . وفي بدء إنجيل "لوقا" ما يشير إلى الدوافع التي دفعت كتاب الأناجيل إلى كتابتها والمشاعر التي حملتهم على تدوين ما عرفوا عن المسيح وما سمعوا منه .

يقول : "لوقا" في مطلع إنجيله : "لما كان كثيرون قد أقدموا على تدوين قصة من الأحداث التي تمت بيننا كما سلمها إلينا أولئك الذين كانوا في البداية شهود عيان ثم صاروا خداما للكلمة رأيت أنا أيضا بعدما تفحصت كل شيء من أول الأمر تفحصا دقيقا أن أكتبها إليك مرتبة ... لتتأكد لك صحة الكلام الذي تلقيته" .

فإهمال ذكر نسب مريم-أم المسيح في الأناجيل قد يعزى إلى ذلك الفاصل الزمني بين زمن الوحي وتدوينه وأثر هذه المدة بالزيادة والحذف قبل أن تستقر عن طريق التدوين .

كما أن مدوني الأناجيل لم يكونوا منشغلين بتدوين حياة مريم قدر اهتمامهم بتدوين حياة المسيح التي كانت ملأى بالتجليات العجائبية التي شدت الناس وشغلتهم عما سواها من الأحداث ، كما قد يعزى هذا السكوت إلى موقف اليهود من مريم-أم المسيح، فقد أنكروا عليها ولادة المسيح واعتبروه فعلا قبيحا فهم على حد قول الأستاذ حمادي المسعودي : "لم يكونوا يستسيغون مثل هذه الولادة ، وقد اتخذوا منها حجة ضدها ليلبسوها لاتهم المتعلقة بالقدح في العرض والطعن في العفة لذلك رأوا في الولادة أمرا قبيحا ومنكرا ، ولهذا السبب عوملت

مريم على أنها بعيدة عن التقوى والورع الذين عرف بهما والداها وعلى أن الولادة لم تفهم على أنها من أمر ربها وإنما هي نتيجة بغاء" [12].

لئن اختلفت أقسام المدونة في الإشارة إلى نسب مريم-أم المسيح فإنها اتفقت على عدم تحديدها لتاريخ ميلادها . فالنصوص الإنجيلية لم تشر مطلقا إلى هذا الجانب من حياة مريم والنص القرآني كذلك لكنه تحدث عن قصة نذر امرأة عمران لما في بطنها وجعله حبسا في الكنيسة جاء في سورة آل عمران 35 : "إذ قالت امرأة عمران وأم مريم كانت قد أمسك عنها الولد حتى أسنت ، وكانا أهل بيت من الله ، فبينما هي في ظل شجرة نظرت إلى طائر يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد ، ودعت الله أن يهب لها ولدا ، فحلت حنة وهلك عمران أثناء الحمل ، فلما عرفت أن في بطنها جنينا جعلته لله نذيرة والنذيرة أن تعبده الله فتجعله حبسا في الكنيسة[13] .

إن حنة زوجة عمران بإطلاقها هذا النذر كانت تظن أن ما في بطنها ذكرا إذ لم يكن في شرعهم أن تحرر أنثى لخدمة بيت المقدس ، وإنما يختص بها الذكور دون الإناث لأنهم أقوى على الخدمة وأقوم بها ، أما الأنثى فلا تصلح في بعض الأحوال لدخول القدس والقيام بخدمة الكنيسة لما يعترضها من الحيض والنفاس ، ومن ثم فإن النذر للمعابد لم يكن معروفا إلا للصبيان ليخدموا الهيكل وينقطعوا للعبادة .

لقد كانت المرأة اليهودية تنذر لربها إن رزقت أطفالا وعاشوا أن تهب أكبرهم للإله "يهوه" ومن ثمة يصبح هذا الطفل خادما للكهنة وحارسا للمعبد وربما يصبح كاهنا .

ولكن حنة زوجة عمران رزقت باثنى ، ومن ثمة فهي تتوجه إلى ربها في نغمة آسفة ومع ذلك حافظت على نذرها وسمت وليدتها "مريم" ومعناه في لغتهم "العابدة" ، ودعت الله أن يعيذ مريم من الشيطان جاء ي سورة آل عمران 36-37 : ﴿ رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني

سميتها مريم وإني أعيذها بك وبذريتها من الشيطان الرجيم فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتا حسنا ﴾ .

إنا لنص القرآني يشير إلى العناية الإلهية التي حظيت بها المولودة مريم منذ ولادتها والرعاية التي أحيط بها في نشأتها ،وهو ما يؤكد شأن هذه المرأة في المستقبل وإعدادها لتستقبل "الروح" و"الكلمة" عيسى وولادته على غير مثال من ولادة البشر .

لقد جاء في النص -القرآن- مفصلا لأحداث ميلاد مري مقارنة بعدم إشارة الأناجيل إلى هذا الحدث وما حف به .

فبماذا يمكن أن يعلل هذا السكوت المطبق ؟

يعتبر مؤلف "معجم الأديان" أن السكوت على كتابة في ما يتعلق بحياة مريم قبل ميلاد المسيح هو ضرب من استبعادها[14] . إن النص القرآني لاحق زمنيا للنص الإنجيلي ، وقد تجاوز هذا السكوت الإنجيلي وتفوق عليه في الإدلاء بتفاصيل ميلاد مريم-أم المسيح وأكد احتفاء القوى الغيبية بهذه المرأة منذ ميلادها (التسمية-الإعاذة) .

لا توجد إشارة واضحة عن نشأة مريم في الأناجيل ما عدا خبر خطوبتها ليوسف بمناسبة الحديث عن ميلاد المسيح ، جاء في إنجيل "متى" في 1-18 :"أما المسيح فقد كانت أمه مخطوبة ليوسف..." وورد في إنجيل "لوقا" في 1-26 : "...عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت دوود واسم العذراء مريم..." .

ويذكر مؤلف "قاموس الكتاب المقدس"[15] أن يوسف هو زوج مريم العذراء وأم يسوع وهو من بيت دوود من بيت لحم هاجر إلى الناصرة ومارس فيها مهنة النجارة . أما في شأن الخطوبة فيقول نفس المؤلف[16] أنه قد كان التعارف عليه في ذلك الحين أن الخطبة تعقد لمدة عام واحد قبل الزواج .

أما النص القرآني ، فإنه يذكر اختصام قومها وتنازعهم في كفالتها واحتكامهم إلى القرعة جاء في سورة آل عمران 44 : ﴿ذلك من أنباء الغيب

نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لـــديهم إذ يختصمون ﴾ .

ويذهب أحد المفسرين[17] إلى أنهم ذهبوا إلى نهر الأردن واقترعوا هنالـــك على أن يلقوا أقلامهم فاحتملها الماء إلا قلم زكريا[18] فإنه ثبت "وكفلها زكريا"[19] .

هكذا نتبين أن زكريا هو الذي اعتنى بمريم وجعلها تقيم في المسجد للعبادة والخدمة ولمي كن ذلك للنساء قبلها ، ولعل هذا إرهاص بأنه سيكون منها رسول ناسخ لأحكام كثيرة من التوراة ، لأن خدمة النساء للمسجد المقـــدس لم تكـــن مشروعة[20] .

ويتحدث القرآن عن مريم – أم المسيح ويخبر أنها كانت محل كرامـــات ، والكرامة لا تكون إلا لأوليائه الذين بلغوا غاية من الصـــلاح والتقـــوى ، فلقـــد اصطفاه الله على نساء العلامين ورد في سورة آل عمران 37 : ﴿ كلمـــا دخـــل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يا مريم أني لك هذا قالت هو من عنـــد الله يرزق من يشاء بغير حساب ﴾ .

والمحراب هو مكان تعبدها وإقامتها ، ويرى ابن كثير في تفسيره أن زكريا كان يجد عند مريم فاكهة الصيف في الشتاء وفاكهة الشتاء في الصيف . وأمام هذا المشهد العظيم المفارق للمألوف يدعو زكريا ربه متأثرا وقد اشتاق إلى ولد صـــالح مثلها جاء في سورة آل عمران 37 : ﴿ هنالك دعا زكريا ربه قال رب هـــب لي من لدنك ذرية طيبة إنك سميع الدعاء ﴾ .

لقد كانت كفالة زكريا لمريم معجزة له وتكرمة لمريم الصغيرة النذيرة الـــتي نذرتها أمها وهي لا تزال جنينا في بطنها ، تلك هي بداية القصة الميلئـــة بخـــوارق العادات والمعجزات ، بدأت في بيت عمران واستمرت في المحراب .

يستوقفنا في هذا المستوى نقاط التقاطع بين النصين المقدســـين الإنجيلـــي والقرآني ؛ ففي حين يذكر القرآن كفالة زكريا لمريم وإكرام الله لهـــا لا نقـــف في النص الإنجيلي المسيحي على أية علامة تشير إلى علاقة زكريا بمريم سوى ما ذكره الإنجيلي "لوقا" في الإصحاح الأول من وجود علاقة نسب تجمع مريم بأليصـــابات

زوجة زكريا ورد في إنجيل "لوقا" في 1-36 الهاشي نسيبتك أليصابات أيضا قد حبلت بابن في سنها المتقدمة" .

كما أن النص الإنجيلي لا يتحدث عن مريم إلا عند زيارة جبرائيل لها وكانت أليصابات وقتها حاملا في شهرها السادس جاء في إنجيل "لوقا" في 1-36 "وفي الشهر السادس أرسل جبرائيل الملاك من الله إلى مدينة من مدينة بالجليل اسمها الناصرة إلى عذراء ... واسم العذراء مريم" فذكر مريم في النص الإنجيلي يأتي بعد تحقق البشارة في حين يأتي في النص القرآني متزامنا معها وحافزا على تحققها .

فبماذا يمكن أن يعلل هذا الاختلاف ؟ وهل يعود ذل إلى أن الذين كتبوا الأناجيل يجهلون تفاصيل تل الفترة من حياة مريم ؟ أم أن أهم ما في حياة مريم ه تحقق البشارة بالحمل والميلاد العجائبي للمسيح ؟

إن النص القرآن في وصف كفالة زكريا لمريم قد اعتمد على الأسطوير والعجيب الذي تجلى خاصة في الرزق الذي تحصل عليه مريم ولعل ف يذلك تهيئة للعجيب الذي سيتجلى مع الحمل والولادة العجيبين .

إن أهم ما يميز هذه المرحلة من حياة مريم هو الميلاد العجائبي للمسيح . ويمكن أن نبوب هذه المرحلة إلى مراحل ثلاث : مرحلة البشارة بالحمل ومرحلة الولادة ومرحلة ما بعد الولادة .

تذكر جميع نصوص المدونة المعتمدة في الدراسة (إنجيل لوقا والقرآن) ظهور هذه البشارة وعملية التواصل التي تمت بين مريم-أم المسيح والذات الإلهية بواسطة الملائكة :

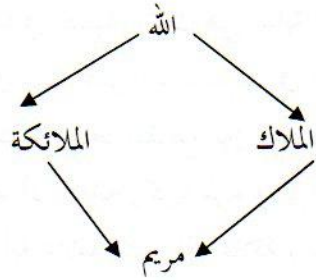

هذا الرسم يحيل على رسم آخر أعم وأشمل في النصوص الدينية ويبين لنا الطريقة التي يتم بها التواصل بين الذات الإلهية من ناحية والكائنات البشرية من ناحية ثانية ، وهذا الشكل يمكن أني رسم كالتالي :

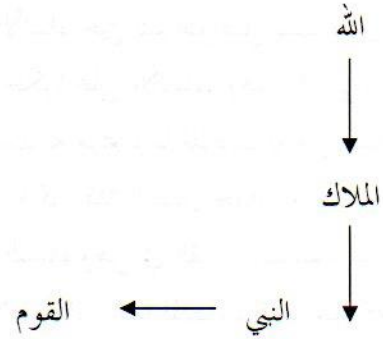

جاء في إنجيل لوقا في 1/26-35 : أرسل الملاك جبرائيل من قبل الله إلى مدينة بالجليل اسمها لناصرة إلى عذراء مخطوبة لرجل اسمه يوسف من بيت داود واسم العذراء مريم فدخل الملاك وقال لها : سلام أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت بين النساء فاضطربت لكلام الملاك وساءلت نفسها ما عسى أن تكون هذه التحية فقال لها الملاك لا تخافي يا مريم فإنك قد نلت نعمة عند الله وها أنت ستحبلين وتلدين ابنا وتسمينه يسوع ... فقالت مريم للملاك كيف يحدث هذا وأنا لست أعرف رجلا فأجابها الملاك الروح القدس يأتي عليك وقدرة العلي تظللك" .

ويذكر النص القرآني خبرا مشابها له ورد في سورة آل عمران وسورة مريم جاء في سورة آل عمران 45 : ﴿ إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين ﴾.

لقد دأبت العادة على اعتبار أن هذه الطريقة من التخاطب لا تتم إلا بين الإله والأنبياء وهو ما يجلنا نعتق أن مريم/أم المسيح لها من الخصائص التي تتميز بها عن بقية الناس ، لذلك ركزت نصوص المدونة على ما في مريم من مواصفات

التفرد ورد في إنجيل لوقا 28/1 : "سلام أيتها المنعم عليها الرب معك مباركة أنت بين النساء" . وجاء في سورة آل عمران 42 : ﴿يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين﴾ .

إن ما يستوقفنا في عملية التواصل هو وجود الملاك /الملائكة ، فمريم ليست من الأنبياء حتى يتم التواصل بينها وبين الذات الإلهية المتعالية بهذه الطريقة التي كانت حكرا على الأنبياء، وهو ما ينبئ أن ما سيحدث إنما هو أمر جلل وعظيم خصت به مريم ، لما تفردت به من صفات.

لقد ذكر كلا النصين جدارة مريم لتحمل هذه المسؤولية فهي في الإنجيل مباركة بين النساء وهي في القرآن مصطفاة على نساء العالمين بل إن القرآن قد كرر فعل الاصطفاء . فما المقصود بهذه المباركة وهذا الاختيار ؟

وبالعودة إلى سيرة مريم في النص القرآني يمكن اعتبار أن الاصطفاء الأول تمثل في ولادتها أنثى ونذر أمها وتسميتها مريم وإعاذتها من الشيطان هي وذريتها .وكذلك في كفالة زكريا لها وفي لعناية الإلهية فمريم كانت تحصل على رزقها بدون مشقة حتى تتفرغ للعبادة والطاعة . أما الاصطفاء الثاني ، فيتمثل في اختيارها من دون سائر النساء على تقبل "كلمة" الله والحمل بعيسى وولادته على غير مثال : "فالاصطفاء الأول ذاتي وهو ما جعلها مترهة زكية والثاني بمعنى التفضيل على الغير ونساء العالمين نساء زمانها أو نساء سائر الأزمنة وتكليم الملائكة واصطفائها بدلا عن نبوءتها والنبوءة لا تكون للنساء دون الرسالة"[21] .

إن مسألة الاصطفاء الثاني قد مثلت مدار جدل في النصوص الحافلة الإسلامية ، فذهب بعض المفسرين إلى اعتبارها أفضل نساء زمانها فقط [22]فالضمير الإسلامي يعتقد أن أفضل النساء من أربعة مريم وآسيا زوجة فرعون وخديجة زوجة النبي محمد وفاطمة ابنته ولا يقبل أ، تكون مريم أفضل النساء في سائر الأزمنة وهو ما ذهب إليه بعض المفسرين واعتبروا أن المقصود بالعالمين سائر الأزمنة .

إن مباركة النصوص الدينية لمريم أم المسيح جعل منها المرأة الطاهرة البتول التي عرفت الحمل بدون دنس ، فأصبحت المرأة الرمز والمثال الذي يخترق كل

العصور والأزمنة ، بل أنها عند بعض الفرق المسيحية بمنزلة الإله[23] وهي في الضمير الإسلامي نموذج المرأة الطاهرة .

ويثير انتباهنا في هذه البشارة طريقة حصول الحمل وماهية المولود ففي النص الإنجيلي " الروح القدس" يأتي على مريم فتحبل ، أما في النص القرآني فإن حقيقة المولود "كلمة من الله". فما المقصود "بالروح القدس" و"الكلمة" ؟

يذكر "قاموس الكتاب المقدس" أن الروح القدس هو روح الله وهو الأقنوم الثالث في الثالوث المسيحي ، وقد سمي روحا لأنه مبدع الحياة ودعي قدوسا لأنه يقدس قلب المؤمن ، والروح القدس-روح الله وروح المسيح في آن وله من الصفات الإلهية ما الله نفسه وللمسيح وهو أزلي واهب للحكمة والمعرفة .

إن هذه الصورة عن الروح القدس مرفوضة في النصوص الإسلامية ، فالروح في القرآن هو جبريل فهو الروح الأمين جاء في صورة النساء 17 : ﴿ إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ﴾ . ويذكر ابن منظور في "لسان العرب" أن الروح في سورة مريم وفي سورة النساء تدل على خلق من خلق الله ، وبذلك فهي ليست أزلية وليس لها من الصفات ما الله نسه كما يقول العهد الجديد وقاموس الكتاب المقدس . فبماذا يمكن أني فسر هذا الاختلاف ؟

أما مفهوم "الكلمة الذي ذكر في القرآن فإنه على علاقة وطيدة بحقيقة المولود وقد وردت "الكلمة" في استعمالات عديدة منها ما جاء في سورة آل عمران 45 : ﴿ إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم ﴾ ، وجاء في سورة النساء 171 : ﴿ إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ﴾ .

نلاحظ أن في الآيتين ربطا بين عيسى والكلمة فهو "كلمة من الله" وتذكر دائرة المعارف الإسلامية[24] أن المقصود بهذا الاستعمال القرآني هو كلمة "كن" المبدعة أو الخالقة ، ويعتبر المفسرون المسلمون كلمة الله المتعلقة بعيسى شبيهة بكلمة الخالق المتعلقة بآدم جاء في سورة آل عمران 59 : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ .

إن البشارة التي تلقتها مريم من السماء كشفت لها صفات هذا الغلام الذي ستلده هذه العذراء ، لكن مريم إذ تلقت هذه البشارة لم تلتفت كثيرا لهذه الصفات إذ كان شغلها الشاغل هو كيف تلد طفلا من غير زوج يتصل بها ؟ ولهذا تعجبت أنكرت هذا الحمل . جاء في إنجيل لوقا 34/1 ، فقالت مريم للملاك : "كيف يحدث هذا وأنا لست أعرف رجلا؟" .

أما في النص القرآني فيتكرر المعنى نفسه في سورة آل عمران 47 : ﴿ قالت رب أنى يكون لي ولد و لم يمسسني بشر ﴾ .

إن ميلاد المسيح تغيب فيه أحد العناصر الأساسية لعملية الإخصاب وهو الذكر، فالنصان الإنجيلي والقرآن يعطيان نفس المعطيات عن أصول المسيح البيولوجية ، إذ أن نمو المسيح في رحم أمه قد حدث خارج قوانين الطبيعة المشتركة بين كل الكائنات البشرية فالبويضة التي أنتجا مبيض أمه لم تحتج للالتقاء بحيوان منوي يأتي من أبيه ليشكل جنينا ثم طفلا قابلا للحياة لذلك فالمسيح حالة خاصة ، فقد كانت أمه عذراء وهو ما يؤكد أن ميلاده حدث غير طبيعي . يقول الأستاذ حمادي المسعودي : "إننا إزاء حدث خارق / عجيب ، لذلك اكتنفته منذ البداية عناصر غير مألوفة لدى الناس بنا على أنه سيقطع مع المعاد ليكون حدثا مربكا بالنسبة إلى البيئة التي سيتم فيها تكون العناصر الأولى المؤلفة لهذا الحدث ، بل إن الحل والميلاد سيكونان مربكان الأجيال اللاحقة ولما توصلوا إليه من علوم عندما سكتت هذه العلوم دون أ، تجد تعليلا لهذا الحدث ويمكن أن نقول إن الإرباك قد ظهر منذ بروز أعراض الحمل على مري لكنه سيتدعم أثناء الميلاد وبعده"[25] .

أما فترة الحمل وباعتبارها تمثل مرحلة تحقق البشارة بالحمل ، فلا تورد نصوص المدونة عنها إلا بعض الأخبار المقتضبة . يذكر الإنجيلي "متى" أن يوسف خطيب مريم أم المسيح قد أتى بعروسه ولكنه لم يدخل عليها حتى ولدت يسوع المسيح . ويذكر الإنجيلي "لوقا"[26] خبرا مخالفا مفاده أن مريم بعدما تلقت البشارة بالحمل قامت من الناصرة[27] وطنها لتزور أليصابات نسيتبها في اليهودية وبقيت

معها مدة تقرب الثلاثة أشهر إلى أن وضعت أليصابات[28] طفلها يوحنا المعمدان/يحي.

أما النص القرآني فإنه يشير إلى اختفاء مريم عن قومها بعد أن بدأت أعراض الحمل تظهر عليها جاء في سورة مريم 22 : ﴿ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا ﴾ ، وغم أن هذا الخبر يختلف مع النصوص الإنجيلية في ظروف فترة الحمل عند مريم لكنه يظل خبرا غامضا فلا يحدد المكان الذي تنحت فيه مريم واعتزلت أهلها وهو ما يشرع لتساؤلنا :

لماذا تسكت النصوص الدينية عن تفاصيل حياة مريم قبل الحمل وبعده ؟ وهل يعزى ذلك إلى أن قصة مريم لا عبرة منها ؟ أم لأنها جاءت لتشرح ميلاد يسوع المسيح العجائبي ؟ أم أن السكوت خصيصة من خصائص النصوص الدينية ؟

ميلاد المسيح :

اختلفت فروع المدونة من حيث الحديث عن لحظة الميلاد فـ "هرقس" و"يوحنا" قد أهملا هذه المرحلة لذلك سنعتمد على الإنجيلين "متى" و"لوقا" . ورد في الإنجيلين "لوقا" و"متى" أن ميلاد المسيح قد تم في بيت لحم إثر انتقال مريم ويوسف النجار إلى أورشليم للاكتتاب (ومعناه الإحصاء بلغتنا اليوم)[29] .

إن ما يستوقفنا في هذا المستوى هو مكان الولادة -بيت لحم- فهو ليس مكانا عاديا ، يذكر قاموس الكتاب المقدس أن بيت لحم هي قرية صغيرة مبنية على أكمة تبعد ستة أميال إلى الجنوب من أورشليم وهي محاطة بتلال تكسوها الأشجار والنباتات الجميلة وهي سمقد رأس دوود . وأن مريم التي ولدت في الناصر كانت من نسل داود فأتت إلى بيت لحم للاكتتاب فحان فيها وقت ولادتها فولدت يسوع هناك[30] .

إن المكان الذي ولد فيه المسيح على صغره يضفي على حدث الولادة بعدا طقسيا باعتبار المنزلة الدينية التي تحظى بها أورشليم[31] ، فهي مدينة مقدسة في تاريخ

الشرق ، واعتبرت باستمرار مركزا للعالم ومركزا للحقيقة السماوية . ونقطة التقاء السماء والأرض .

إن فضاء ميلاد المسيح في النصوص النجيلية كان مسرحا لبعض التجليات العجائبية ، فالإنجيلي "متى" يذكر أن مجموعة من المجوس جاؤوا أورشليم بثا عن المولود بعد أن شاهدوا نجمه فأتوا ليسجدوا له ويقدموا له الهدايا .

أما الإنجيلي "لوقا" فتحدث عن ظهور الملاك الذي بشر الرعاة بميلاد المسيح وذكر لهم العلامة التي يتعرفون بها على المولود ، وتحدث أيا عن ظهور "جند سماوي" يسبحون لله ويمجدونه[32] .

وبالنسبة إلى زمن الميلاد فلا نجد له تحديدا مضبوطا في النصوص الإنجيلية ماعدا بعض العلامات التاريخية يمكننا الاستناد إليها مثل ذكر بعض الحكام الرومان – هيرودس[33] ، وبعض الأنبياء مثل يوحنا المعمدان[34] ، ويفهم من النص الإنجيلي أن ولادة المسيح كانت بعد مضي ستة أشهر من ميلاد يوحنا المعمدان ، ويذهب قاموس الكتاب المقدس إلى تحديد تاريخ الميلاد بـ 25 كانون لأول /ديسمبر من السنة الرابعة قبل الميلاد .

أما النص القرآني فيذكر أن مريم خوفا من ظهر علامات الحمل عليها واتهام قومها هربت واتخذت مكانا بعيدا عن أهلها وعندما حان موعد وضعها ألجأها آلام المخاض إلى جذع نخلة جاء في سورة مريم 22 : ﴿ فحملته فانتبذت به مكانا قصيا فأجاءها المخاض إلى جذع النخلة ﴾ .

نلاحظ أن النص القرآني لم يضبط المكان ، وإنما أورده عاما وغير محددا ، وهو خبر يخالف ما ذكره النص الإنجيلي وقد يعود ذلك إلى طبيعة النص القرآني فهو نص مختزل بينما النص الإنجيلي يترع إلى التاريخ والتفصيل . ويتأكد هذا التأويل بالنظر إلى الزمن في النص القرآني فلم ترد أي علامة تاريخية أو إشارة من بعيد أو من قريب لزمن ميلاد المسيح .

ويذكر النص القرآني حضور العنصر الملائكي في فضاء الميلاد لكنه في صورة مخالفة لما ورد في النص النجيلي تمثل في مخاطبة الملائكة لمريم بسبب حزنها من

هذا الميلاد المفارق للمألوف ، وأشارت الملائكة لمريم بتحريك جذع النخلة حتى يتساقط عليها الرطب الجني ورد في صورة مريم 26/23 : ﴿ قالت يا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيا منسيا فناداها من تحتها ألا تحزني قد جعل ربك تحتك سريا وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا ﴾ .

ويذهب المفسرون المسلمون إلى أن جذع هذه النخلة كان يابسا لا ثمر عليه إذ ل كان عليه ثمره لهزته من غير أن تأمر ، أما النهر الذي انساب من قربها كان من قطع الماء ، فأرسله الله لمريم وأحي به ذلك الجذع حتى أثمر وأورق .

نلاحظ أن مكان الولادة في النص القرآني رغم أنه ورد عاما ، كما أن مريم تتبدى فيه وحيدة دون رفيق يقدم لها العون ، فقد تكثف حضور العجيب كظهور الملائكة وأثمار النخلة وجريان النهر بعد انحباسه ، فحدث الميلاد مفارق للمألوف ، قد أضفى على مكان الولادة هالة من التقديس فكل "مكان مقدس ينطوي على تجل مقدس عن تفجر للقدسي ينتج عنه انفصام إقليم عن محيطه الكوني فيجعله مختلفا عنه نوعيا"[35] .

لئن اختلفت نصوص المدونة في تحديد زمان الولادة ومكانها فإنها اتفقت في الإشارة إلى ظهور العنصر الملائكي في فضاء الميلاد ، ففي النص الإنجيلي يمجد الملاك الرب ويسبح بحمده، وفي النص القرآني يواسي الملاك مريم ، ويذهب الطبري في تفسير النص القرآني أن الملائكة تجلت عند جذع النخلة وأحاطت مريم وانبنها حتى لا يتمكن الشيطان من إيذائهما ، فالشيطان لما بلغه الخبر طار إلى ذلك المكان "فأراد أن يأتيه من فوقه فإذا رؤوس الملائكة ومناكبهم عند السماء ثم أراد أن يأتيه من تحت الأرض فإذا أقدام الملائكة راسية أسفل مما أراد إبليس ثم أراد أن يدخل بينهم فنحوه عن ذلك"[36] .

إن حدث حمل مريم كان قادحا لظهور العديد من ردود الأفعال منها الشك في عفتها وطهارتها قد "كان أول من أنكر حم لمريم صاحبها يوسف"[37] ، وقد ذكر القرآن صراحة الاتهامات التي وجهها اليهود لمريم إثر الولادة جاء في سورة مريم 27-28:﴿ فأتت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا يا

أخت هارون ما كان أبوك امرئ سوء وما كانت أمك بغيا ﴾ . فهؤلاء لم يكونوا يستسيغون مثل هذه الولادة ، لذلك اتهموها بالبغاء بعد أن عرفت بالصلاح والعفة وذهبوا إلى أن الذي أحبل مريم هو زكريا أثناء دخوله عليها المحراب لذلك قتلوه . وقد أكد القرآن عفة مريم وسلامة عرضها فذكر تكلم عيسى في المهد ليكذب ادعاءات اليهود ورد في سورة مريم 29-30 : ﴿ فأشارت إليه فقالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا قال إني عبد الله أتاني الكتاب وجعلني نبيا ﴾ .

أما النص الإنجيلي (متى -لوقا) فإنه تحدث عن تخوف يوسف ومريم من الملك "هيرودس" وهروبهما من الناصرة إلى أورشليم حيث وذلت مريم المسيح في قرية بيت لحم وفي مرحلة تالية إلى مصر . يذكر الإنجيل "متى" في 2-13:"وبعدما انصرف المجوس إذ ملاك من الرب قد ظهر ليوسف ي حلم قال له قد واهرب بالصبي وأمه إلى مصر وأبق فيها إلى أن آمرك بالرجوع ، فإن هيرودس سيبحث عن الصبي ليقتله" . ويستجيب يوسف لرغبة "الرب" ويغادر بيت لحم وأورشليم يوقيم في مصر إلى أن مات "هيرودس" . ويذكر الإنجيل نفسه أن ملاكا من " الرب " عاد وظهر ليوسف في الحلم ، وأمره بالرجوع بالصبي وأمه إلى أرض إسرائيل. فقد مات هيرودس لكن يوسف ينتابه الخوف من الملك الابن "أرخيلاوس" ويوحي إليه أن يتوجه إلى الناصرة وهي موطن مريم .

نلاحظ أن كلا النصين-الإنجيل والقرآن قد تحدثا عن هذه المرحلة بصورة خاطفة وإن كنا نجد إشارة إلى هروب مريم وابنها من قومها في القرآن جاء في سورة المؤمنون 50 : ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية وآويناهما إلى ربوة ذات قرار ومعين ﴾ ، إلا أنها تبقى إشارة غير واضحة ، فلا نجد تعيينا لهذه الربوة ذات القرار.

إن حدث ميلاد المسيح العجيب قد اتخذ وجهتي نظر مختلفتين من اليهود ومن جانب المسيحيين أيضا . فبالنسبة إلى اليهود ، فإن هذا الميلاد المفارق للمألوف قد انزلق بمريم إلى ساحة الاتهام سواء من خطيبها أو من قومها ، وقد كان زكريا زوج أليصابات يقع في قلب دائرة الاتهام ، وخيوط الاتهام تمتد على

تاريخ طويل ، فاليهود يتهمونه بالزنا بمريم وينكرون حضور "ملاك الرب" وحدوث المعجزة ، وينفي ذلك أيضا باحث عربي معاصر "فارح مهدي" مستندا إلى مرجعية من بيولوجيا التناسل ومن علم الأجنة يقول : " ذكر لنا النص الإنجيلي أن يسوع المسيح ولد بواسطة حلول ملاك الرب في رحم العذراء مريم . إن هذا النص الأسطوري لا يتفق مع الروح العلمية وما عرفناه من نمو الكائن الحلوي ... إن النص الأسطوري عن ولادة يسوع لا يمكن قبوله ولا بد أن تكون ولادة مريم قد حصلت عن طريق إنسان أي عن التقاء بويضة بحيوان منوي ونتج عن هذا اللقاء يسوع المسيح"[38] .

ويذهب هذا الباحث إلى أبعد من ذلك ، فينفي أن يكون ملاك الرب قد أودع سره في أليصابات عند حملها بيحيى /يوحنا المعمدان ومريم عند حملها بعيسى ، ويرى أن ذلك ينطوي على "خدعة أحد كهنة المعبد الذي كان مضطرا إلى فعلته تلك مع أليصابات حتى يصل إلى غرضه مع مريم[39] .

أما بالنسبة للمسيحيين ، فقد كانت ولادة المسيح العجيبة بابا واسعا نفذت منه تلك المدعيات التي تدعي الألوهية . فإن هذه الولادة على ما يكتنفها من الغموض ليست بعيدة عن قدرة الإله فالإنسان الأول — آدم – قد خلق من غير أب ولا أم وحواء قد خلقت من أب وبلا أم كما تقول التوراة والناس جميعا يتولدون من أب وأم . فهذه الصورة المتعددة لميلاد البشر تكشف عن قدرة الإله على الخلق وعلى التنويع فيه . فإذا كان خلق المسيح غير مألوف إلى درجة صعود المولود إلى مرتبة الألوهية . فآدم المولود من غير أب ولا أم أولى من هذا المسيح الذي ولد من أم بل حواء أولى منه .

إن أمر الولادة من أم وبلا أب لم يكن معروفا ، لذلك أثار استنكارا من أهل مريم كما تصرح الأناجيل وكما يذكر القرآن، وقد ظل المسيح طيلة حياته ينسب إلى زوج أمه –يوسف النجار– فهو عند اليهود ابن زنا لا يدري أحد من أبوه وقد حرص القرآن أن يذكر المسيح منسوبا إلى أمه "المسيح ابن مريم" .

لذلك نتساءل لماذا يذكر القرآن ما صمتت عنه الأناجيل ، وغفل عنه المسيحيون أنفسهم؟ أو أزعجتهم الأحداث عن تسجيله ؟ ألم يكن أول بالقرآن باعتباره لاحقا زمنيا لا يضع في يد الخصم سلاحا ماضيا ، وهو يريد أن يدخل معه في معركة فاصلة في شأن المسيح وأمه فلا يقول فيه هذا القول الذي يرفعه هو وأمه إلى المنزلة العالي ، وأن يدع مقولات اليهود واختراعاتهم عليه وعلى أمه تعمل عملها في تلك المرحلة ؟

ذكر النص القرآني في أكثر من موضع منه أن المسيح ابن مريم تكلم في المهد وذلك ليكون آية على طهر أمه وعفافها وبراءة عرضها من أن يعلق به شيء مما تلوكه الألسن وتوسوس به الظنون في حال كحال مولود يولد من غير زواج معترف به شرعا أو عرفا ، لقد أتت بوليدها بعد الولادة لتواجه القوم وتخرس الألسنة المتطاولة ، وهذا الولد قد نطق في المهد وكلامه في المهد معجزة خارقة تتلاقى مع معجزة المولد من غير أب . والأمر اللافت أن الأناجيل الأربعة المعتمدة لم تشر إلى هذا الحدث العجيب أية إشارة كما أن دعاة المسيحية ومبشريها لم يذكروا شيئا عنه .

فلماذا انفرد القرآن بهذا الخبر الذي يخرج به عما انعقد عليه إجماع أهل الكتاب من مسيحيين ويهود ؟

إن النص القرآن ذكر ما أنكرته اليهود في مريم وابنها ، ومما أنكره المسيحيون ، ولا يجدون شاهدا عليه في أناجيلهم المتوفرة بين أيديهم اليوم . وهذا من شأنه أن يضع النص القرآني من جهة والأناجيل من جهة أخرى في موقف الخصومة في هذه القضية. فماذا لم تذكر الأناجيل كلام المسيح في المهد ؟

إننا إذا أعدنا النظر في المسألة على ضوء الظروف والملابسات التي كتبت فيها الأناجيل ووضعنا في حسباننا تلك التناقضات التي وقعت فيها رأينا أنه ليس مستحيلا أن يخرم من الأناجيل هذا الخبر وأن يسقطه الذين كتبوها من حسابهم لأمر قدروه ولحساب حسبوه ،ويمكن أن يعلل هذا بعلل كثيرة منها أن الأناجيل كتبت في وقت كان اليهود يضطهدون فيه أتباع السميح ويلاحقونهم بالأذى وأنهم كانوا يطلقون ألسنتهم في المسيح وأمه وفي المعجزات التي وقعت منه ويتهمونه

بأشنع التهم وأبشعها فليس معقولا - والأمر كذلك - أن يفتح كتاب الأناجيل جبهة جديدة للحرب بينهم وبين اليهود وأن يلقوا إلى النار المشبوبة وقودا جديدا ، كما أن كلام المسيح في المهد لم يكن معجزة قائمة تعيش بين الناس ، وإنما كان للحظة عابرة أطفأ بها ثورة ثائرة على أمه وأنه وإن كانت هذه المعجزة قد أحدثت هزة عميقة ودويا عاليا كان حديث الناس وموضوع جدلهم زمنا فإن صمت المسيح بعدها إلى أن تجاوز الطفولة قد جعل حموها يخفت في الصدور فلما كان وقت كتابة الأناجيل كانت تلك الحادثة قد ضاعت في طوفان الأحداث التي اتصلت بحياة المسيح وإعلانها وكتابتها في ذلك الوقت ما يقوي جبهة أولئك الذين "يحدفون" على المسيح ويرمونه وأمه بالمنكرات من الأباطيل والمفتريات .

وشبيه بكلام المسيح في المهد مولده من عذراء فهذا الميلاد العجيب لا يقل عن الكلام في المهد إثارة للعجب والدهشة ، ومع هذا فإن الإنجيلين "مرقس" و"يوحنا" لم يشيرا أية إشارة إلى هذا لميلاد والقديس "بولس" مؤسس المسيحية وداعيها الأول لم يتحدث عن ميلاد المسيح من عذراء ولم يشر إلى شيء من ذلك في رسالته . وإنجيلا "متى" و"لوقا" اللذان تحدثا عن هذا الميلاد "العذري" ذكرا ذلك في اتحياء ومن غير التفات إليه أو احتفاء به بل أنهما يقولان بميلاد المسيح من عذراء[40] ويعودان فيرجعان نسبه إلى دوود عن طريق يوسف زوج أمه[41] ، وكأنهما أرادا أن يسدا هذه الفجوة فنسبا المسيح إلى يوسف زود أمه .

كذلك تذكر بعض الأناجيل الأربعة [42] سجود الرعاة والمجوس للمسيح الوليد وعبادتهم له كما تذكر تلك المذبحة العظيمة التي قام بها الحاكم الروماني "هيرودس" للأطفال اليهود وفرار مريم بالمسيح إلى مصر[43] على حين أن بعض الأناجيل لا تذكر من هذه الأحداث شيئا . وهذا كله لم تذكر الأناجيل الثلاثة - مرقس ولوقا ويوحنا- شيئا منه . فكيف يكون الحال لو ألغي إنجيل "متى" كما ألغيت عشرات الأناجيل ؟

نتبين أن الاختلاف بين النصوص الدينية المعتمدة أي كل من النص الإنجيلي والنص القرآني ليس سمة مميزة مقتصرة على هذا الجانب من المقارنة بل إن

الاختلاف خصيصة الأناجيل الأربعة المعتمدة الأمر الذي لا يستقيم معه أن تكـــون مستقاة من مصدر واحد وهو المسيح . فلماذا نجد أربعة أناجيل في حـــين تحـــدث القرآن عن إنجيل واحد ؟ وكيف نفسر هذه الاختلافات بين الأناجيل التي تتعـــدى الشكل إلى المضمون وتصل حد التضاد والتناقض ؟

نشير إلى أن فروع المدونة تتفاوت من حيث الحديث عن نايـــة مـــريم-أم المسيح ، فالنص القرآني يسكت تماما عن هذه المرحلة ، فلا نظفر بآية تشير إلى هذا التطور من حياة مريم وكذلك الأمر ينسحب على الأناجيل فبعد أن قـــدمها لنـــا الإنجيل "لوقا"[44] كمثل أعلى للأمهات وللسناء قاطبة يذكر أ،ها تتبعـــت المســـيح واقتفت أثره حتى النهاية[45] ، ولما كان المسيح على الصليب ظهرت محبة المسيح لها واهتمامه بشأنها عندما عهد إلى يوحنا الرسول بالعناية بها جـــاء إنجيـــل يوحنـــا 19/26-27 : "فلما رأى يسوع أمه والتلميذ الذي كان يحبه واقفا بالقرب منها قال لأمه "أيتها المرأة هذا ابنك" ثم قال للتلميذ" هذه أمك" ومنذ ذلك الحين أخذها التلميذ إلى بيته" .

والإشارة الوحيدة الصريحة التي وردت في العهد الجديد عـــن مـــريم -أم المسيح بعدما جاء عنها في الأناجيل هي ما ورد في أعمـــال لرســـل الأولى عـــن اشتراكها مع تلاميذ يسوع وإخوته في الصلاة ومواظبتها عليها ، ورد في أعمـــال الرسل 1/13-14 : "ولما وصلوا صعدوا إلى غرفة في الطبقة العليا كانوا يقيمون فيها وهم بطرس ويوحنا ويعقوب وأنداوس وفيلبس وتومـــا وبرثلمـــاوس ومـــتى ويعقوب بن حلفي وسمعان الغبور ويهوذا أخو يعقوب وكانوا جميعا يدومون على الصلاة بقلب واحد ومعهم بعض النساء ومريم أم يسوع وإخوته" .

ويمكن أن نتساءل هنا إذا كان النص النجيلي قد سكت عن نهاية مريم-أم المسيح، فلماذا سكت النص القرآني عن هذه النهاية باعتباره تاليـــا زمنيـــا ؟ أم أن السكوت خصيصة من خصائص النص القرآني باعتباره نصا مختزلا لا يخـــوض في التفاصيل غايته من القصص الاعتبار دون أن تعوق الجزئيات عن فهم هذه الغاية ؟

الخاتمة :

لقد كان حضور مريم -أم المسيح في الأناجيل القانونية الأربعة حضـــورا مقتضبا وباهتا رغم أنها حسب "قاموس الكتاب المقدس "الأم العتيدة للمسيح ن أما حضورها في النص القرآني فقد كان بارزا إذ تكرر ذكر اسمها أربعا وثلاثين مـــرة فهي من أعلام القرآن ذكرت في السور التالية : آل عمران والمائدة والنساء والتوبة ومريم والمؤمنون والحديد والصف والتحريم . كما أن القرآن أفرد لها سورة باسمها : وتبقى مريم -أم المسيح المرأة الوحيدة التي ذكرت باسمها في القرآن . إن نصوص المدونة بفرعيها ,إن جاءت لتؤكد أنه كان من المألوف أن تأخذ النصوص المقدسة اللاحق منها عن السابق قصصه فإن التباين والاختلاف يظلان السمة المميزة لهـــذه النصوص ولا غرابة في ذلك بما أن كل نص يظل محكوما بالبيئة التي نـــزل فيهـــا وبطبيعة التفكير الديني الذي ميزها . ورغم ذلك تظل هذه النصوص تطرح علينـــا مجموعة من الأسئلة ، فهي غير مقنعة وتترك فراغا واضحا في نفس قارئها نتيجـــة عدم يقينه في شأن معناها .

المصادر :

- الكتاب المقدس
- القرآن

المراجع :

- أ -

- فالح مهدي : البحث عن منقذ : دراسة مقارنة بين ثماني ديانا ، بيروت دار ابن رشد 1981.
- عبد المجيد الشرفي : الفكر الإسلامي في الرد على النصارى ، الـــدار التونســـية للنشر المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1986.

- مرسيا إلياد : المقدس والدنيوي : تعريب نهاد خياطة مطابع دار العلم دمشق ، ط1 ، 1987.
- ميخائيل نعيمة : من وحي المسيح ، مؤسسة نوفل بيوت ، ط1 ، 1974.
- الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير الدار التونسية للنشر تونس ، 1984 ، الجزء الثالث .
- الطبري : تاريخ الأمم والملوك ، مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر الطبعة الثلاثة 1992 ، ج 1.
- الطبري : جامع البيان في تفسير القرآن ، دار الجيل ، بيروت ، ج3-4.

- ب -

- مجلة العرب والفكر العالمي العددان التاسع عشر والعشرون ، 1992 ، مقال : الاحتفاء بالخلق في النصوص الدينية ، حمادي المسعودي ، ص 64.
- مجلة العرب والفكر العالمي ، العددان الثالث عشر والرابع عشر ربيع 1991 ، مقال : العجيب في النصوص الدينية ، حمادي المسعودي ، ص 87.

- ج -

- قاموس الكتاب المقدس .
- معجم الأديان باللغة الفرنسية .
- لسان العرب .

- د -

- دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة باللغة الفرنسية .

الهوامش :

1. - الأناجيل القانونية المكونة للعهد الجديد : إنجيل متى، نجيل مرقس ، إنجيل لوقا ، إنجيل يوحنا .

2. -جاء في إنجيل لوقا في 27/26/1: "وفي شهرها السادس أرسل الملاك جبرائيل من قبل الله إلى مدينة بالجليل اسمها الناصرة العذراء مخطوبة لرجل اسم ه يوسف من بيت داود واسم العذراء مريم" .

3. -جاء في إنجيل يوحنا في 19-25 : "وهناك عند الصليب يسوع وقفت مريم أمه وأخت أمه زوجة كلوبا .

4. - انظر : قاموس الكتاب المقدس : تأليف نخبة من الأساتذة ذوي الاختصاص ، ومن اللاهوتيين (ط11 ، صدر عن دار الثقافة ، القاهرة) ، ص 856.

5. -انظر : إنجيل "لوقا" في 1-36.

6. -جاء في سورة التحريم 12 : ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين" .

7. -جاء في سورة آل عمران 35 :"إن قالت امرأة عمران...".

8. -محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك (مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر ، ط3 ، 1992 ، ج1 ، ص 296.

9. - انظر : دائرة المعارف الإسلامية طبعة الجديدة بالفرنسية الجزء الثامن ، ص 614-615.

10. - محمد بن جرير الطبري : تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ص 296.

11. - انظر سورة آل عمران ، 33-34.

12. - حمادي المسعودي ، مقال الاحتفاء بالخلق في النصوص الدينية مجلدة العرب والفكر العالمي ، العددان التاسع عشر والعشرون سنة 1992 ، ص 74.

13. – محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، دار الجيل بيروت ، ج3-4 ، ص 156-157.

14. - جاء في معجم الأديان، بول بوبارد، ص 31047 Le silence de l'écriture sur Marie est un autre slogan à éliminer"

15. - انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص 846 المرجع السابق .

16. - نفس المرجع ونفس الصفحة .

17. - محمد بن جرير الطبري ، جامع البيان في تفسير القرآن ، ص 163.

18. - النبي زكريا زوج الإشبع أخت حنة -أم مريم.

19. - انظر : سورة آل عمران 37.

20. - انظر : محمد الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، الدار التونسية للنشر تونس 1984 ، ج3 ، ص 235.

21. - انظر : محمد الطاهر بن عاشور : التحرير والتنوير ، ج3 ، ص 235.

22. - دائرة المعارف الإسلامية : الطبعة الجديدة بالفرنسية ، ج8 ، ص 613.

23. - جاء في معجم الأديان : بول بوبارد ، ص : 1046 :

24. - "Marie est sans doute la femme la plus souvent représentée à travers les siècles et les nations/ Serait ce plus inspirant symbole culturel féminin § Qui Marie est symboliquement une déesse pour les catholiques" .

25. - انظر : دائرة المعارف الإسلامية الطبعة الجديدة بالفرنسية ، ص 530.

26. - حمادي المسعودي : مقال الختفاء بالخلق في النصوص الدينية ، مجلة العرب والفكر العالمي : العددان التاسع عشر والعشرون لسنة 1992 ، ص 68.

27. - أنظر انجيل "لوقا" في 1*37-40.

28. - مدينة في الجليل أي الجزء الشمالي من فلسطين وهي تقوم على جبل مرتفع كانت مسقط رأس يوسف وريم وفيها ظهر الملاك لمريم ليبشرها بأ،ها ستكون أم المسيح انظر (لوقا 26/1).

29. - أليصابات هي زوجة زكريا الكاهن وأم يوحنا المعمدان /يحي ذكرت في النصوص التاريخية الإسلامية باسم الإشباع.

30. - انظر : إنجيل "متى" 1/2 وإنجيل "لوقا 2/4-7.

31. - انظر : قاموس الكتاب المقدس ، ص 205.

32. - إنجيل "لوقا" في 2/18-14.

33. - يذكر "اموس الكتاب المقدس" أي يسوع ولد في آخر أيام هيرودس .

34. - يوحنا المعمدان ابن الكاهن زكريا وهو نبي جاء ليبشر بقدوم المسيح .

35. - إنجيل "لوقا" في 26/1.

36. - مرسيا إلياد : المقدس والدنيوي (تعريب نهاد خياطة-مطابع دار العلم دمشق 1987)، ص

37. - محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، مرجع سابق ، ص .

38. - محمد بن جرير الطبري ، تاريخ الطبري ، تاريخ الأمم والملوك ، ج1 ، ص 300 ، مرجع سابق .

39. - فالح مهدي ، البحث عن منقذ دراسة مقارنة بين ثماني ديانات (بيروت ، دار ابن رشد 1981 ، ص 150.

40. - نفسه المصدر ، ص 156.

41. - انظر : إنجيل "متى" 1-18 وإنجيل "لوقا" 1-26-27.

42. - انظر : إنجيل "متى" 1-1-16 وإنجيل "لوقا 3/23-34.

43. - انظر : إنجيل "متى" 2/1-2.

44. - جاء في إنجيل "متى" 2/13-15 : "وبعدما انصرف المجوس إذ ملاك من الرب قد ظهر ليوسف في حلم وقال له "قم واهرب بالصبي وأمه إلى مصر وابق فيها إلى أن آمرك بالرجوع فإن هيرودس سيبحث عن الصبي ليقتله ، فقام يوسف في تلك الليلة وهرب بالصبي وأمه منطلقا إلى مصر وبقي فيها إلى أن مات هيرودس" .

a. وجاء أيضا في إنجيل "متى" 16/2 "عندما أدرك هيرودس أن المجوس قد سخروا منه استولى عليه الغضب الشديد فأرسل وقتل جميع الصبيان في بيت لحم وجوارها من ابن سنتين فما دون" .

45. - انظر : إنجيل "لوقا" 27/2 و 41/33 و 48.

46. - انظر : إنجيل "لوقا" 49/23.